الحديث ١٨

نسخ الرسالات بالرسول

عن أبي هريرة أن رَسُول اللهِ ﷺ قال:

١ «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ،

٢ لا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هذِهِ الأُمَّةِ

٣ يَهُودِيٌّ وَلا نَصْرانِيٌّ،

٤ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ: إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»

رواه مسلم(١١٠).

(١١٠) برقم: (٢٥٠).

آيـــات

﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٩].

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [آل عمران: ٨٥ - ٨٨].

﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

الرّاوي

هو: عبدُ الرحمنِ بنُ صَخرٍ، من قبيلة دوسٍ (قبيلة من الأزد كانت تسكن مأرب ثم تفرقت)، أسلَمَ عامَ خَيبَرَ سنة ٧ هـ فقدم المدينة، ولازمَ النبيَّ ﷺ، وحرص على العلم وحفظ الحديث، وكان أكثر الصحابة روايةً للأحاديث. توفي بالمدينة سنة (٥٨هـ)(١).

خلاصة

يُقسِم النبيُّ ﷺ أنّه لا يُقبل من أحدٍ أدركه أو عاش بعده فسمع به ولم يؤمن به، وأن مصيرَ كلِّ من كفر به النارُ، وإن كان يهوديًّا أو نصرانيًّا.

(١) تُراجع ترجمته في: «معرفة الصحابة» لأبي نُعيم (٤/ ١٨٤٦)، «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر (٤/ ١٧٧٠)، «أُسد الغابة» لابن الأثير (٣/ ٣٥٧)، «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر العسقلانيِّ (٤/ ٢٦٧).

١ يُقسم النبيُّ ﷺ على أمرٍ عظيمٍ، يريد توكيده بالحَلِف بالله. فيقول: **واللهِ الذي أمري وحياتي بيده؛ إن شاء أماتها وإن شاء أحياها**.

٢ ومضمون القسم يتحدث عن وجوب الإيمان لجميع من بلغته دعوة النبيِّ ﷺ؛ من **الأمم التي بُعث النبيُّ ﷺ إليها**، وهم الإنس والجن، من العرب والعجم، من وقته إلى يوم القيامة.

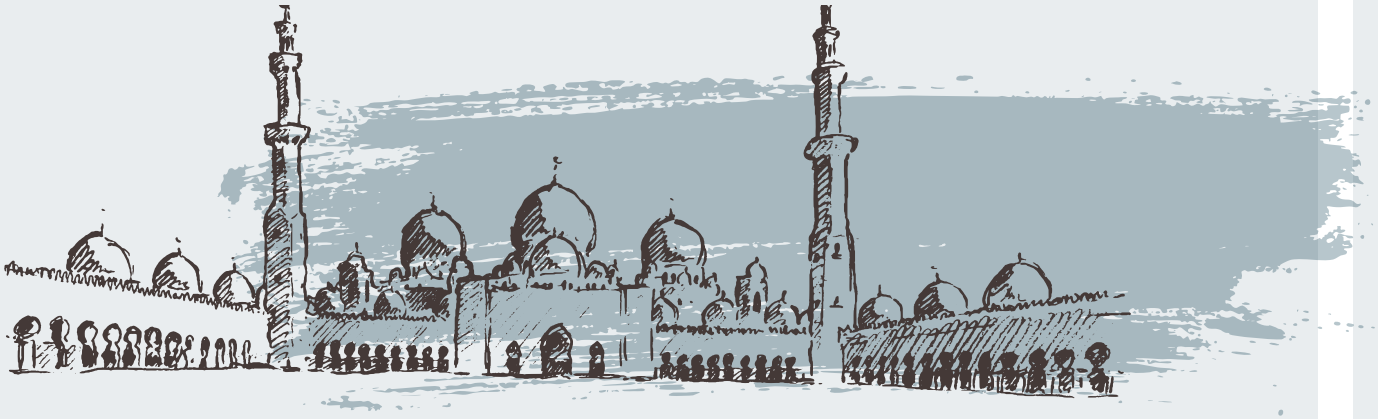

ويقصد ببلوغ الدعوة: فهم المكلّف لوجود رسولٍ يقول إنه من الله؛ يدعو إلى توحيده، وينهى الشرك به، ويبين ذلك، ونحوه..، وسواء اقتنع أو لم يقتنع، فيكفي في قيام الحجة عليه فهمُه الصحيح لوجود رسولٍ هذه صفته، وأما من لم تبلغه بصورة صحيحة لم نقل إن الحجّة قامت عليه، لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

٣ وقد ذكر النبيُّ ﷺ اليهود والنصارى لأنهم أَعْرَفُ الناسِ بالنبيِّ ﷺ؛ فقد جاءتهم البشارات بنبوته، كما أنَّ تخصيصهم بالذكر يدلُّ على يُغني عن الإيمان برسالة النبي ﷺ شيءٌ، ولو قال إنه يتبع دينًا سماويًّا، فغيرهم من الوثنيين والملحدين أولى. وهو دليلٌ على نسخ جميع الشرائع بشرعه ﷺ(١١١).

٤ فكلُّ من بلغته الدعوةُ عاقلًا بالغًا ثم مات على الكُفر ولم يؤمن بالنبيِّ ﷺ ولم يتبع شرعه الذي أتى به، فهو من أصحاب النارِ، خالدًا فيها أبدًا، لا ينفعه عملٌ أو نسبٌ أو شرفٌ أو جاهٌ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

(١١١) ينظر: «تحفة الأبرار» للبيضاوي (١/ ٤٣)، «المفاتيح في شرح المصابيح» للمظهري (١/ ٧٢).

اتّباعي

١ قطع أبو هريرة رضي الله عنه المسافة الطويلة من بلده، ورضي بالهجرة والغربة إلى الله تعالى وإلى رسوله، مأنه يكفيه أن يسلم في بلده، بل صارَ أكثرَ الصحابة روايةً للحديث رغم حداثة إسلامه، فلينظر كل منا إلى نفسه: ما الذي بذله في سبيل الله تعالى؟، وما مقدار حرصه على القرب من السنة التي هي إرث محمد ﷺ؟

٢ لنعظِّم أمر الإيمان، ولنسلِّمْ لرسول الله ﷺ ما قال، سواء وافق ذلك هوانا أو لا، ها هو ﷺ يقسم بالذي حياته وموته بيده، على مسألة من مسائل الإيمان.

٣ من كان له قرابة أو صلة بيهودي أو نصراني فليحسن إليه بحسنِ دعوتِه إلى الإسلام، فإن دينه لا يغني عنه شيئاً، وإن أسلم فله ولك بسببه أجران، قال ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَهُمْ أَجْرَانِ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، آمَنَ بِنَبِيِّهِ وَآمَنَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ»[١١٢].

٤ على المسلم أن يعتزَّ بدينه؛ اعتزازاً يفوق اعتزاز كلِّ صاحبِ حضارةٍ بحضارته، فكلُّ أتباع الأديان الأخرى في خسارة عظمى ما لم يتبعوا دين الإسلام الذي يبلغهم، فلله الحمد أن جعلنا مسلمين، وهدانا لما اختُلف فيه من الحقِّ بإذنه.

٥ أعظم الرحمة أن يسعى الإنسان إلى تخليص نفسِه وأهلِه والناس من العذاب المقيم، فإنَّ أحدًا لا يدخل الجنة حتى يؤمن بالنبيِّ ﷺ ورسالته ويتبعه، والدعاةُ إلى الله تعالى أرحم الناسِ بالناس؛ فهم يجاهدون بلسانهم ومالهم وعلمهم ليصرفوهم عن عذاب الله، وهي منزلة عظيمة ينبغي على كل مسلم أن يحرص عليها، وينضم لسلك الدعاة إلى الله تعالى.

قال الشاعر:

وكُـنْ لسُـنَّةِ خَـيْرِ الخَلْـقِ مُتبِعًـا ... فإنَّـهـا لنَجَـاةِ العَبْـدِ عُنْـوَانُ
فَهْـوَ الَّـذِي شَـمِلَتْ لِلْخَلْـقِ أَنْعُمُـهُ ... وَعَمَّهُـمْ مِنْـهُ فِي الدَّارَيْنِ إِحْسَانُ
وَمُـذْ أَتَـى أَبْصَرَتْ عُمْيُ الْقُلُوبِ بِهِ ... سُبْلَ الهُـدَى وَوَعَتْ لِلْحَقِّ آذَانُ
يَـا رَبِّ صَـلِّ عَلَيْـهِ مَـا هَمَـى مَطَـرٌ ... فَأَيْنَعَـتْ مِنْـهُ أَوْرَاقٌ وَأَغْصَـانُ
وَابْعَـثْ إِلَيْـهِ سَـلَامًا زَاكِيًـا عَطِـرًا ... وَالْآلِ وَالصَّحْبِ لَا تُفْنِيهِ أَزْمَانُ

(١١٢) رواه البخاري (٩٧)، ومسلم (١٥٤)، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.